الموادعة[1] إلى يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثاً من أمس. فلمّا لم يجد عنده إلا ذلك ردّه وأقبل على أصحابه فقال: ويحكم!! ألا ترون إلى ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقّر ما نعظّم، وأقام فرسه على زِبْرِجنا وربطه به، فهو في يُمْنِ الطائر ذهب بأرضنا وما فيها إليهم مع فضل عقله!!. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا فهو في يُمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا، حتى أغضبهم وأغضبوه. فلما كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة.

ثم أخرج ابن جرير (٣/ ٣٦) من طريق سيف عن أبي عثمان النَّهدي قال: لمّا جاء المغيرة إلى القنطرة فعبَرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته، ولم يغيّروا شيئاً من شارتهم[2] تقوية لتهاونهم، فأقبل المغيرة بن شعبة والقوم في زيّهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، ويُسُطهم على غَلْوة[3] لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليهم غلْوة، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي حتى جلس معه على سريره ووسادته، فوثبوا عليه فترتروه[4] وأنزلوه ومغثوه[5]، فقال: كانت تَبْلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنّا معشر العرب سَواء لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه، فظننت أنّكم تُواسون قومكم كما نتواسَى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتِكم ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون وأن مُلْكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول، فقالت السُّفِلة[6]: صدق والله العربي، وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا يزال عيبدُنا ينتزعون إليه!! قاتل الله أوّلينا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمة... فذكر الحديث في كلام رستم وما أجابه المغيرة.

عدم الالتفات إلى كثرة العدوّ وما عنده

قول ثابت بن أقرم لأبي هريرة يوم مؤتة في هذا الأمر

أخرج البيهقي من طريق الواقدي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدتُ مؤتة،

---

(١) «الموادعة»: أي المصالحة.

(٢) «شارتهم»: لباسهم الحسن الجميل.

(٣) «غلوة»: أي قدرَ رمْيَة بسهم.

(٤) «فترتروه»: حرّكوه وزعزعوه.

(٥) «مغثوه»: أي ضربوه ضرباً ليس بالشديد.

(٦) «السُّفِلة»: عامّة الناس وسقاطهم.

فلما دنا منّا المشركون رأينا ما لا قِبَل لأحدٍ به من العدة والسلاح والكُراع[١] والديباج والحرير والذهب، فبرق بصري فقال لي ثابت بن أقرم رضي الله عنه: يا أبا هريرة! كأنك ترى جموعاً كثيرة؟! قلت: نعم، قال: إنك لم تشهد بدراً معنا، إنا لم ننصر بالكثرة. كذا في البداية (٤/ ٢٤٤). وذكره في الإصابة (١/ ١٩٠) عن الواقدي مقتصراً على قول ثابت.

كتاب أبي بكر لعمرو بن العاص في هذا الأمر

أخرج الطيالسي من طريق الواقدي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص:

«سلام عليك، أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر ما جمعت الروم من الجموع، وإن الله لم ينصرنا مع نبيّه ﷺ بكثرة عدد ولا بكثرة جنود، وقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، وما معنا إلا فَرَسان؛ وإن نحن إلا نتعاقب الإبل، وكنا يوم أحد مع رسول الله ﷺ وما معنا إلا فرس واحد كان رسول الله ﷺ يركبه، ولقد كان يظهرنا ويمتّعنا على من خالفنا، واعلم يا عمرو أن أطوع الناس لله أشدهم بغضاً للمعاصي فأطِع الله ومر أصحابك بطاعته».

كذا في الكنز (٣/ ١٣٥). وأخرجه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه. قال الهيثمي (٦/ ١١٧): وفيه الشاذَكوني والواقدي وكلاهما ضعيف. انتهى.

قول خالد بن الوليد لرجل يوم اليرموك في هذا الأمر

أخرج ابن جرير في تاريخه (٢/ ٥٩٤) عن عبادة وخالد رضي الله عنهما قالا: قال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين؟! فقال خالد: ما أقلّ الروم وأكثر المسلمين؟! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقلّ بالخِذلان لا بعدد الرجال، والله! لوددتُ أن الأشقر[٢] براء من توجُّبه[٣]، وإنهم أضعفوا في العدد، وكان فرسه قد حَفي[٤] في مسيره.

ماذا قالت الأعداء في غلبة الصحابة عليهم

قول رجل من أهل الردّة في شجاعة الصحابة رضي الله عنهم

أخرج البيهقي (٨/ ١٧٥) عن الزُّهري قال: لمّا استخلف الله أبا بكر رضي الله عنه

---

(١) الكراع: الخيل.

(٢) «الأشقر»: اسم فرس خالد.

(٣) «توجّبه»: من وجى الفرس أي أصيب بالوجاء، وهو أن يشتكي الفرس باطن حافره.

(٤) «حفي»: رقّت قدمه من كثرة المشي.

وارتدَّ من ارتدَّ من العرب عن الإسلام، خرج أبو بكر غازياً حتى إذا بلغ ثَقْماً من نحو البقيع، خاف على المدينة فرجع وأمَّر خالد بن الوليد بن المغيرة سيف الله وندب[1] معه الناس وأمره أن يسير في ضاحية مُضَر[2] فيقاتل من ارتدَّ منهم عن الإسلام ثم يسير إلى اليمامة فيقاتل مسيلمة الكذاب، فسار خالد بن الوليد فقاتل طليحة الكذاب الأسدي فهزمه الله، وكان قد اتبعه عُيينة بن حصن بن حذيفة ـ يعني الفزاري ـ فلما رأى طليحة كثرة انهزام أصحابه قال: ويلكم! ما يهزمكم؟ قال رجل منهم: وأنا أحدِّثك ما يهزمنا؛ أنه ليس منّا رجل إلا وهو يحبُّ أن يموت صاحبُه قبلَه، وإنا لنلقى قوماً كلُّهم يحبُّ أن يموت قبل صاحبه وكان طليحة شديد البأس في القتال فقتل طليحةُ يومئذ عكاشة بن محصن رضي الله عنه وابن أقرم، فلما غلب الحقُّ طليحةَ ترجَّل ثم أسلم وأهلَّ بعمرة. . . فذكر الحديث.

قول صاحب الإسكندرية لعمرو بن العاص في هذا الشأن

أخرج الطبراني عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية، فقال صاحبها: أخرجوا إليّ رجلاً منكم أكلّمه ويكلّمني، فقلتُ: لا يخرج إليه غيري، فخرجت ومعي ترجمان ومعه ترجمان، حتى وُضع لنا منبران، فقال: من أنتم؟ فقلنا: نحن العرب ونحن أهل الشوك والقَرَظ[3]، ونحن أهل بيت الله كنا أضيق الناس أرضاً وأشدّه عيشاً، نأكل الميتة ونغير بعضنا على بعض بشرّ عيش عاش به الناس؛ حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذ شرفاً ولا أكثرنا مالاً فقال: أنا رسول الله يأمرنا بما لا نعرف وينهانا عما كنا عليه وكانت عليه آباؤنا، فشَنِفنا له[4]، وكذّبناه ورددنا عليه مقالته، حتى خرج إليه قوم من غيرنا فقالوا: نحن نصدّقك، ونؤمن بك ونتّبعك ونقاتل من قاتلك، فخرج إليهم وخرجنا إليه فقاتلناه وظهر علينا وغلبنا وتناول من يليه من العرب، فقاتلهم حتى ظهر عليهم، فلو يعلم مَنْ ورائي ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحد إلا جاءكم حتى يشرككم فيما أنتم فيه من العيش، فضحك ثم قال: إن رسولكم قد صدق قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاءكم به رسولكم، فكنا عليه حتى ظهر فينا ملوك فجعلوا يعملون فينا بأهوائهم، ويتركون أمر الأنبياء فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحد إلا غلبتموه ولم

---

(١) «ندب»: دعا.

(٢) أي أهل البادية منهم.

(٣) «القرظ»: ورق السَّلَم يدبغ به «النهاية» (٤/ ٤٣).

(٤) في الأصل «فشتمنا له» والصواب «شنفنا له» أي أبغضناه «النهاية» (٢/ ٥٠٥).

يتناولكم أحد إلا ظهرتم عليه، فإذا فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم أمر الأنبياء وعملتم مثل الذي عملوا بأهوائهم، خلى بيننا وبينكم فلم تكونوا أكثر منا عدداً ولا أشد منا قوة. قال عمرو بن العاصي: فما كلمتُ رجلاً أذكرَ[1] منه. قال الهيثمي (٦/ ٢١٨): وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وأخرجه أبو يَعْلى عن علقمة بن وقّاص قال: قال عمرو بن العاص... فذكر نحوه. قال الهيثمي (٨/ ٢٣٨): رجاله رجال الصحيح غير عمرو بن علقمة وهو ثقة... انتهى.

قول رجل من عظماء الروم لهرقل في أسباب غلبة الصحابة

أخرج أحمد بن مروان بن المالكي في المجالسة عن أبي إسحاق، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فُوَاق[2] ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على أنطاكية لمّا قدمتْ منهزمةُ الروم: ويلكم!! أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟! قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن، قال: فما بالكم تنهزمون؟! فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويُوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر ويتناصفون بينهم[3]. ومن أجل أنّا نشرب الخمر، ونزني ونركب الحرام، ونتقض العهد ونغصب، ونظلم ونأمر بالسُّخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني. كذا في البداية (٧/ ١٥). وأخرجه ابن عساكر (١/ ١٤٣) عن ابن إسحاق بنحوه.

وصف رجل من نصارى العرب الصحابة أمام بطريق دمشق

قال الوليد بن مسلم أخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغسّاني يحدّث عن رجلين من قومه قالا: لمّا نزل المسلمون بناحية الأردن، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوّق[4] منها قبل ذلك، فبينا نحن فيها؛ إذ أرسل إلينا بطريقها فجئناه فقال: أنتما من العرب؟ قلنا: نعم، قال: وعلى النصرانية؟ قلنا: نعم، فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم وليثبت الآخر على متاع صاحبه، ففعل ذلك أحدنا فلبث ملياً ثم جاءه فقال: جئتك من عند رجال دِقاق يركبون خيولاً عتاقاً؛ أما الليل فرهبان وأما النهار

(١) «أذكر منه»: يعني أنه ذكر جُلْد، شهماً ماضياً في الأمور «النهاية» (٢/ ١٦٣).

(٢) «فواق»: أي قدر ما بين الحلبتين من الناقة لأجل الرَّاحة.

(٣) «يتناصفون»: ينصف بعضهم بعضاً.

(٤) «نتسوّق»: نبيع ونشتري.

ففرسان يريشون[1] النبل ويبرونها[2]، ويثقفون[3] القنا، لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك؛ لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر؛ قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به؛ كذا في البداية (٧/ ١٥). وأخرجه ابن عساكر (١/ ١٤٣) عن يحيى بن يحيى الغسّاني بنحوه. وفي روايته: مشاقاً بدل: عتاقاً، ويقوّمون القنا بدل: يثقفون.

وصف نصراني عربي للصحابة أمام القبقلار

أخرج ابن جرير في تاريخه (٢/ ٦١٠) عن عروة قال: لمّا تدانى العسكران بعث القُبْقلار رجلاً عربياً قال: فحُدِّثت أن ذلك الرجل رجل من قضاعة من تزيد بن حيدان يقال له ابن هُزارف، فقال: ادخل في هؤلاء القوم فأتم فيهم يوماً وليلة، ثم ائتني بخبرهم. قال: فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر قام فيهم يوماً وليلة ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجم لإقامة الحقّ فيهم، فقال له القُبْقلار: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددتُ أن حظّي من الله أن يخلّي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليّ.

وصف الجاسوس الفارسي الصحابة أمام رستم

أخرج ابن جرير في تاريخه (٣/ ٤٥) عن ابن الرُّفَيل قال: لمّا نزل رستم النجف، بعث منها عَيناً[4] إلى عسكر المسلمين فانغمس فيهم بالقادسية كبعض من ندّ منهم فرآهم يتاكون عند كل صلاة، ثم يصلّون فيفترقون إلى مواقفهم. فرجع إليه فأخبرهم بخبرهم وسيرتهم حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثتُ فيهم ليلة لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يمصّوا عيداناً لهم حين يمسون وحين يناموا وقبيل أن يصبحوا، فلمّا سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذّن مؤذن سعد الغداة فرآهم يتحشحشون[5]، فنادى في أهل فارس أن يركبوا، فقيل له: ولِمَ؟ قال: أما ترون إلى عدوّكم قد نودي فيهم فتحشحشوا لكم، قال عينه ذلك: إنما تحشحشهم هذا للصلاة، فقال بالفارسية وهذا تفسيره بالعربية: أتاني صوت عند الغداة وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلّمهم العقل، فلمّا عبروا

(١) «يريشون»: يصلحون.
(٢) «يبرونها»: ينحتون.
(٣) «يثقفون»: يقوّمون.
(٤) «عيناً»: جاسوساً.
(٥) «يتحشحشون»: يتحرّكون للنهوض.

تواقفوا وأذّن مؤذن سعد للصلاة فصلّى سعد رضي الله عنه، وقال رستم: أكل عمر كيدي.

وصف روميّ للصحابة أمام هرقل

قال ابن جرير أيضاً (٣/ ٩٩): ذكر سيف، عن أبي الزهراء القُشَيري، عن رجل من بني قُشَير، قال: قال لمّا خرج هرقل نحو القسطنطينية لحقه رجل من الروم كان أسيراً في أيدي المسلمين فأفلت[١]، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم؟ فقال: أحدِّثك كأنك تنظر إليهم فرسان بالنهار ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمّتهم إلا بثمن[٢]، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليرثنّ ما تحت قدمي هاتين.

قول ملك الصين في الصحابة

ذكر ابن جرير أيضاً في تاريخه (٣/ ٢٤٩): أن يزدجرد كتب إلى ملك الصين يستمدّه فقال للرسول: قد عرفتُ أنّ حقّاً على الملوك إنجاد[٣] الملوك على من غلبهم، فصِف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم؛ فإني أراك تذكر قلّة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم؛ إلا بخير عندهم وشرّ فيكم، فقلتُ: سلني عما أحببتَ؟ فقال: أيوفون بالعهد؟ قلتُ: نعم، قال: وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إما دينهم فإن أجبناهم أجْرَونا مُجراهم، أو الجزية والمَنَعة[٤]، أو المنابذة[٥]؛ قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت: أطْوَعُ قوم لمرشدهم، قال: فما يحلّون وما يحرّمون؟ فأخبرتُه، فقال: أيحرّمون ما حُلّل لهم أو يحلّون ما حُرّم عليهم؟ قلت: لا، قال: فإنّ هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلّوا حرامهم ويحرّموا حلالهم، ثم قال: أخبرني عن لباسهم! فأخبرته؛ وعن مطاياهم، فقلت: الخيل العراب وَوَصَفْتُهَا، فقال: نِعمتِ الحصون هذه ووصفت له الإبل ويروكها وانبعاثها بحملها، فقال: هذه صفة دوابّ طوال الأعناق: وكتب له إلى يزدجرد إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق عليّ ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي

---

(١) «فأفلت»: فتخلّص.

(٢) أي لا يأكلون طعام أهل الذمّة إلاّ بثمن.

(٣) «إنجاد»: إعانة.

(٤) «المنعة»: أي قوّة تمنع من يريدهم بسوء «النهاية» (٤/ ٣٦٥).

(٥) «المنابذة»: أي المقاتلة.

رسولك صفتهم لو يحاولون[1] الجبال لهدُّوها[2]، ولو خُلِّيَ لهم سَرِبهم[3] أزالوني ما داموا على ما وصف، فسالمهم وارضَ منهم بالمساكنة، ولا تُهيِّجْهُمْ ما لم يَهِيجُوكَ.

* * *

وهذا آخر ما أردنا في هذا الكتاب، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سكينةً علينا إذا أرادوا فتنةً أبينا

وبهذا تمَّ كتاب حياة الصحابة على يد العبد الضعيف محمد يوسف سلَّمه الله تعالى عن التلهف والتأسُّف ـ يوم الأربعاء في شهر الله المحرم سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية.

---

(١) «لو يحاولون»: أي لو يريدون.

(٢) «لهدّوها»: أي لهدموها.

(٣) «سَربهم»: بفتح السين، أي المسلك والطريق. يقال خلّ سَربه: أي طريقه «النهاية» (٢/ ٣٥٦).